# من شعر محمد عبدالله محمد

## الدوم والحديث الأول *

ما زلت أطوف معك في رحاب أشعار المفكر الأديب المحامي الشاعر محمد عبد الله محمد، إحدى فلتات القرن الماضي . نقلت إليك من قبل بعضاً من الحديث الثالث من قصيدة "الدوم" في ديوانه : "العارف" .. ولكني أعود بك اليوم إلى الحديث الأول في هذه القصيدة التي تغرينا بالتحليق معه :

ماذا تُريدُ لقد غاضَتْ منابعُنا
وقَلَّ في أرضِنَا الأنْداءُ والمطر
وذلك الشَّوْكُ فينا هل يُغَيِّرُه
تدفقُ الماءِ إنْ يأذَنْ به القدرُ
أم نحن كالدُومِ لا يَسْخُو بفاكهةٍ
ولو تَناهَدَ فيه السيلُ والنَهَرُ

* * *

يا مَنْ كتبْتَ بطاقاتٍ لِيحملَهَا
من أوَّل الدهرِ شاراتٌ وذراتُ
تخاطِبُ الكونَ لا الأفهامَ أحْرُفُها
فتملأُ الكونَ بالأحداثِ عِلاَّتُ

---

* نشر في ٢١/٥/٢٠٠٩

إذا أردْنَـا فما معنى إرادتِنَـا
ومَنْ يخالفُ ما تحوى البطاقـاتُ
هذى الحماقةُ فينـا وحدنا أبدا
فهـل تُقَرِّبُنـا منـك الحماقاتُ ؟

* * *

يعدو إليه فؤادى لائذاً وَجِـلاً
ما أكْبَرَ الكونَ بَلْ ما أصغَرَ الأمَلاَ
يضيع فى رَحْبِهِ صوتى ويَعْثُرُ
بى بلا اكتراثٍ ويطوى سيُرةُ الأحَـلاَ
فأرٌ بِحُجْرٍ رأى قصراً فأزعَجَهُ
ضآلةُ الفأرِ إنْ وَافَى أو ارتَحَـلاَ
يا من جعلتم لهُ عقلاً لِيَهْدِيَـهُ
تَـانَـدَ المهدىُّ والهادى وما وَصَلاَ

* * *

أخفى النهَـارُ جلالَ الكون واعتُقِلَتْ
فى صَوْئِهِ ـ العينُ إغماضاً وإبْصَاراً
وَعَرَّهَـا لعِبُ الألـوانِ فانصرفتْ
بالقلـبِ تُلْهِيـهِ إقبـالاً وإدبـاراً
تبارَكَ الليلُ فى نَفْسٍ تراقِبُـهُ
رَعَتْ نُجُومـاً بداخِلِهَـا وأقماراً
وشاهَدَتْ مطلعَ الأحـلامِ وانْتَشَلَتْ
مِنَ لُجَّةِ الليلِ أسـراراً وأخبـاراً

* * *

هَلاَّ احترمْنَا وقارَ الصمتِ أو خَجِلَتْ
مِنْ هَيبةِ الليلِ أصواتٌ وأضواءُ
فطالما نسيَتْ أرواحَهَا نَسَمٌ
وأعْرَضَتْ عن نداءِ الأصلِ أجْزاءُ
توَقَّعَت قلقَ العصفورِ خِفَّتَهُ
وكم يَطيرُ رذاذاً فى الهَوَا الماءُ
ودلك الزَّهْرُ أيْدِى الريح تَقطِفُهُ
لا يعرفُ الزهرَ أشْمَالٌ ونكباءُ

* * *

خَلاَ فؤادُكَ إلاَّ مِنْ شواغِلِهِ
خَلاَ من الوُدِّ والإنسانِ واللهِ
الكِبْرُ والخوفُ يحتاطان وَحْدَتَهُ
تقاسَمَا الباقى من إيمانِهِ الواهِى
قد ساءَ رأيُكَ فى الدنيا ومَسْلكِهَا
مذ كان فِكْرُكَ فيها الأمرَ الناهِى
إنْ تَشْكُ من صَدَأ الدنيا فمعظَمُهُ
صَدَى شواغِلِ قلبٍ مُغْلَقٍ ساهِى

* * *

مَلأ الحَصى قلبَكَ القاسِى وأغلقَه
يا من يفضل أفكارا على الناسِ
تُجِيزُ حِرْقَ القُرى نَشْراً لمعتقدٍ
وفى كرامةِ جنْسٍ قَتْلَ أجناسِ

من لا يبالى إذا آراؤُهُ نَجَحَتْمن
أىِّ بُؤْسٍ أتاهَا النُّجْحُ أوْ بَاسِ
تلك الجسارَةُ فيها الخوفُ مَصْدرُهَا
بهَا تَقايَضَ إفلاسٌ بإفْلاسِ

* * *

يا مَنْ هو الحىُّ والأحياءُ نَفْحَتُهُ
من راحةِ الأمِّ لا مِنْ مخلَبِ الضارِى
قُدسُ الحياةِ أحالتْهُ تفاهتُنَا
إلى محازِرِ آراءٍ وأفْكَارِ
كم يُسْفَكُ الدمُ فى تفسيرِ مُجْتهدٍ
وفى مطالبِ وَهْمٍ سائدٍ سارِى
كم دِيسَ أثمنُ ما فى الخلقِ قاطبةً
وهَانَ أفضَلُ ما قَدْ صاغَهُ البارِى